

## مفهوم الحفظ الإلهي

من خلال العلاقة الترابطية بين اسم سورة الحجر وموضوعاتها

**Concept of Divine Protection  
through the Interconnected Relationship  
between the Name of Surah Al-Hijr and its Themes**

د. محمد براء بن عبد الغني الصباغ

جامعة مرمره (تركيا)

baraaalsaba1993@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/07/15

تاريخ القبول: 2024/02/27

تاريخ الاستلام: 2021/11/24

## ملخص:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم وجعله معجزا فلا يجد القارئ بين الآية وأختها إلا تكامل الترابط وتماثل التعاضد مهما كان بينهما من فاصل زمني أو مكاني، وعلى الرغم من تنوع موضوعات السورة الواحدة فإن المتدبر كلام الله سبحانه وتعالى يجد أن لكل سورة صبغة تميزها عن غيرها وهوية خاصة بها لا تشترك معها سورة أخرى، وإن كان يجمعهم جميعا عموم القيم والحقائق الشرعية والكونية التي جاء القرآن لتقريرها، ولقد امتازت سورة الحجر عن غيرها ببيان مفهوم الحفظ الإلهي وتعداد صوره وأسباب النيل منه وقد جاءت موضوعات السورة الجزئية منتظمة في تقرير محور كلي يربط كل تلك الأجزاء ببعضها، وهذا ما سأقف عليه وأحاول بيانه من خلال النظر في سياق الآيات ووحدة أفكارها وتعانق موضوعاتها، ولقد جاء البحث بمقدمة وتمهيد ثم مبحث أول بينت فيه محور السورة وعلاقته بمناسباتها كما عطفته بمبحث ثان بينت فيه وجه العلاقة بين موضوعات السورة وبعضها ببعض.

الكلمات المفتاحية: سورة الحجر، البلاغة، الحفظ، التفسير، الموضوعي.

**.Abstract:**

God Almighty has revealed his noble book and made it miraculous, as the reader finds a completely integrative structure within different Ayat, regardless of the time or spatial interval between them. Despite the diversity of the topics of a Surah, the contemplator of the words of God Almighty will find that each Surah has a character and an identity that distinguishes it from other Suras, even if all of these Suras are united by the general values and the legal and cosmic facts that the Qur'an came to report. For example, Surat Al-Hijr was distinguished by explaining the concept of divine preservation, enumerating its images, and the reasons for the attempts of undermining the preserved revelation. The partial topics in the Surah are organized in a comprehensive report that links all these parts together. This research aims to study the context of the verses of Surat Al-Hijir and the unity of their ideas. The first topic of this research will show the axis of the Surah and its relationship to its occasions. The second topic will reveal the relationship between the various subjects of the Surah.

**Keywords:** Quran, Surat Al-Hijr, memorization, tefsir, objective.

### مقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيّدنا محمداً عبد الله ورسوله، أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم هو الآية العظمى التي أيّد الله بها نبينا محمداً ﷺ، فقد صحّ عنه ﷺ أنّه قال: ((مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مَثَلُهُ آمِنٌ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).<sup>1</sup>

وإنّ القارئ المتأمل لكتاب الله جلّ وعلا يدرك من الوهلة الأولى عظمته وقوة بلاغته، وروعة دلالاته وإعجازه؛ فهو بحق جدير بأن يكون الكتاب الخاتم المهيم على ما قبله من الكتب، قال تعالى: ﴿الْكِتَابُ الْحَكِيمُ - إِنَّهُ ثُمَّ فُضِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1] كيف لا وهو معجزة الله الكبرى وكتابه الخالد، قال سبحانه تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]

هذا الكتاب الذي بهر بنظمه أرباب الفصاحة والبلاغة، وحيّر ذوي الأبواب بما حوى من فنون النظم، وكنوز العلوم والمعارف التي كانت ولا تزال موضع عناية العلماء ودراساتهم على اختلاف تخصصاتهم وأبحارهم، وتاج هذه الدراسات هو "الإعجاز" على اختلاف موارده وتنوع مصادره وجوانبه.

### إشكالية البحث:

وتبرز إشكالية البحث في الإجابة عن تساؤل تخصصي رئيس هو:

- ما هي العلاقة بين موضوعات سورة الحجر المتنوعة وبين صور الحفظ التي ورد ذكرها في آيات السورة؟
- ويتفرع عدد من الأسئلة منها:
- ما هي دلالة لفظ "الحجر" على محور السورة الرئيس؟

- ماهي طبيعة العلاقة بين موضوعات السورة المتباينة ومحورها الرئيس؟
- ما هو دور موضوعات السورة في سياق حقائق القرآن وقيمه السماوية؟

### منهجية البحث:

فرضت طبيعة الدراسة استخدام عدة مناهج علمية منها:

- 1- المنهج الاستقرائي: حيث وقفت على موضوعات السورة المتباينة ومحورها الرئيس وذلك من خلال كتب التفسير وخاصة المعنية بالتفسير الموضوعي.
- 2- المنهج التحليلي: حيث قمت بدراسة تحليلية للوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم متتبعا في ذلك كل آيات السورة ودلالات ألفاظها وهدايات قصصها ضمن قواعد البحث الأكاديمي.

### الدراسات السابقة:

هذا وإنني لا أدعي السبق في الكتابة في كل جزئيات الموضوع فقد سبقت بعدد من الدراسات الموضوعية أذكر منها:

موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم الصادرة عن جامعة الشارقة 2010، وكذلك محتويات سور القرآن لأحمد الطويل، مدار الوطن، ط3، 2013م، وكذلك التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لعبد الحميد طهماز، دار القلم، ط2، 2014م، رسالة دكتوراة بعنوان: "دلالة أسماء السور على محاورها وموضوعاتها" لعمر عرفات، الجامعة الأردنية، وقد طبعت بعد ذلك في كتاب ضمن مؤسسة الرسالة ناشرون.

وهذه الدراسات الآتفة الذكر قد ذكرت موضوعات السور إجمالا غير أنني وجدت أن في سورة الحجر مناسبة واضحة بين اسمها وموضوعاتها المتفرقة وقد أبعد النجعة من تناول موضوعات السورة بالدراسة بعيدا عن ذلك.

هذا وإنني لأرجو أن أوفّق إلى ما أتطلع إليه، مع ضراعتي إليه تعالى أن يُلهمني الصّواب والسّداد، ويجنبني الخطأ والزّلل، وأن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه إنه أكرم مسؤول.

### خطة البحث :

واقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسّمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وبيّنت فيها سبب اختيار الموضوع وأهميته وإشكاليته وخطته والمنهجية المتبعة فيه والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه بيان محور السورة الرئيس (عمود السورة).

المبحث الأول: مناسبات السورة وتعلقها بالسباق واللاحق.

المبحث الثاني: موضوعات السورة المختلفة وعلاقتها بالمحور الرئيس.

المبحث الثالث: مناسبة آخر السورة لأولها.

الخاتمة: وبيّنت فيها أهم موضوعات السورة التي أكدتها من خلال محورها الرئيس.

## تمهيد

### محور السورة وأهم موضوعاتها:

بعد تعثّر مسار الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة واشتداد إيذاء الكفار في الفترة الزمنية التي عرفت لاحقاً بعام الحزن أنزل الله سبحانه وتعالى سورة<sup>2</sup> تعيد تشكيل مفهوم الحفظ الإلهي وترسم حقيقته، وتبطل مزاعم أصحاب الحجر الأول (قوم صالح) الذين تغن عنهم مساكنهم من أمر الله، فجاءت آيات السورة على اختلافها مؤكدة أن الحافظ هو الله وحده وهو المتكفل بحفظ هذا الدين، وفي ذلك تسليّة للنبي ﷺ بأن دينه محفوظ بحفظ الله رغم كل الصعاب التي كانت تواجه الدعوة عندما نزلت هذه السورة المكية ذات الطابع التقريري الذي يؤسس لعدد من الأفكار التي كانت قريش بحاجة لإدراكها.

ولقد استعرضت السورة من خلال آياتها التسع والتسعون صوراً متعددة من مظاهر الحفظ الإلهي<sup>3</sup> التي تؤكد قدرة الحافظ سبحانه:

1- حفظ القرآن: فمنهج الله محفوظ.

1- حفظ السماوات وحفظ الأرض: فالخالق سبحانه لمظاهر الحياة تكفل بحفظها.

2- حفظ الأرزاق: فصاحب النعم والفضل كفل للجميع أرزاقهم.

3- حفظ الجنس البشري: فالخالق الأول للإنسان هو وحده القادر على حفظه جنيناً وصغيراً وشاباً كهلاً.

4- حفظ عباد الله المؤمنين: فأولئك لهم مزيد عناية ورعاية وأمان.

كما حددت السورة أهم قوارب النجاة التي ينبغي على طالب الحفظ الإلهي العناية بها وتعاهدتها وهي:

1- القرآن الكريم: كتاب الله المحفوظ.

2- النظر في خلق الله: والتأمل في كونه العظيم.

3- الإخلاص: بإفراد توجه القلب إلى الحافظ سبحانه فهو وحده بيده الملك.

4- أخذ العبرة والعظة من قصص الخلق: والاطلاع على مصير من لجأ إلى الحافظ ومن أعرض عنه.<sup>4</sup>

وقد فصلت السورة أصناف الخلق تجاه الحفظ الرباني:

فمنهم مؤمنون موعودون بالحفظ والرعاية وتوفير أسباب الحفظ والنجاة كإبراهيم ولوط عليهما السلام وسيدنا محمد ومن اتبع هديه واقتفى أثره، ومنهم المعرضون المكذبون فأولئك تنكبت عنهم رعاية الحافظ سبحانه كقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم صالح الذين اغتروا بصور الحفظ والمنعة الظاهرية ولم يلجؤوا للركن المتين سبحانه الحافظ على الحقيقة في كل وقت وحين.

## المبحث الأول: محور السورة وعلاقته بمناسبات السورة

### المطلب الأول: مناسبة السورة لما قبلها

تشير روايات النزول<sup>5</sup> إلى أن سورة الحجر قد سُبقت بسورة يونس وهود ويوسف وأما ترتيبها مصحفيا فقريب من ذلك فقد جاءت بعد يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم ولعلنا بشيء من التساؤلات وكثير من التأملات نصل إلى مناسبة ورود سورة الحجر بعد تلك السور تحديداً، فما هو السر في مجيء سورة الحجر بعد تلك السور؟ هل هناك رابط يجمع كل تلك السور مع بعضها البعض؟ أم أن لكل سورة سياقها المنفصل تماماً عن سابقتها ولاحقها؟

### أولاً: مفهوم الحجر في السياق القرآني:

(الحجر) في السياق القرآني هي كلمة يراد بها التعبير عن قوم سيدنا صالح عليه السلام، وسيبحث قريباً سبب التسمية بذلك تحديداً.

### ثانياً: مناسبة السورة لما قبلها من السور عموماً:

لقد سبقت سور الحجر بعدد من السور هي سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم ثم جاءت سورة الحجر متممة الحديث عن أخبار هؤلاء المرسلين مع أقوامهم فبعد الحديث عن قصص يونس وهود ويوسف وإبراهيم عليهم السلام كان من المناسب تعقيب الحديث عن قصة نبي آخر وهو صالح عليه السلام، وأما إن سأل أحدهم فقال فما بال سورة الرعد قد توسطت تلك السور حسب الترتيب المصحفي؟ فالجواب عن ذلك أن يقال إنها جاءت بمثابة دوحة إيمانية لطيفة لتنبيه القارئ إلى خطورة تكذيب هؤلاء المرسلين وتذكيره بواجبه تجاههم ومصير كل من كفر به وصد عن سبيله، وهذا ما ورد نصحه صريحاً في قلب السورة في عدد من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: 32]



وبذلك يظهر الترابط الوثيق بين هذه السور وكيف أن ترتيبها التاريخي والمصحفي جاء متناسقا في غاية الإحكام والجمال وكأن كل سورة منها كانت تروي لنا طرفا من مشاهد الأنبياء مع أقوامهم.

### ثالثا: مناسبة سورة الحجر لسورة إبراهيم تحديدا:

لما كان ختام الحديث في سورة إبراهيم متناولا ملف أهوال أهل الكفر يوم القيامة ومصير الجاحدين: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (48) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (49) سَرَّابِلُهُمْ مِنْ فَطْرَانٍ وَتَعْنِي وَجُوهُهُمْ النَّارُ (50) ﴿ [إبراهيم: 48-50] ناسب أن يخبر سبحانه في مبدأ الحجر أمنية أولئك المعذبين إذا طال مكثهم فيها قال سبحانه: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2] فالكتاب الحق الذي بلغ الله به الناس ليكون تذكيرا وهداية لهم: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: 52] هو نفسه الكتاب الذي اعتصم به من اعتصم لينجو من عذاب الله ويظفر بحفظه سبحانه الذي سيبين مظاهره وأسبابه في هذه السورة ﴿الْبَرِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: 1]

وأما شيخ المفسرين الذين لهم عناية بالمناسبات فقد عبر عن هذه المناسبة بقوله: ((لما ختم التي قبلها بعنوان الكتاب، ابتدأ هذه بشرح ذلك العنوان، وأوله وصفه بأنه جامع والخير كله في الجمع والشر كله في الفرقة، فقال تعالى: {الر تلك} أي هذه الآيات العالية المقام، النفسية المرام {آيات الكتاب} أي الكامل غاية الكمال الذي لا كتاب على الحقيقة غيره، الجامع لجمع ما يقوم به الوجود من الخيرات، القاطع في قضائه من غير شك ولا تردد، الغالب بأحكامه القاهرة في وعده ووعيده وأحكامه في إعجازه لجميع من يعانده))<sup>6</sup>.

## المطلب الثاني: مناسبة اسم السورة لمحورها الرئيس

### أولاً: دلالة لفظ الحجر:

لقد صُدِّرت بالسورة اسم يخالف مثيلاتها من السور التي سبقتها نزولاً وترتيباً، فلما كان الحديث في السورة مشتملاً الإخبار عن قوم سيدنا صالح عليه السلام كان المتوقع أن تصدر السورة باسم (صالح) عليه السلام كما في سور (يونس، هود، يوسف، إبراهيم) أو حتى باسم قومه المعروف (قوم ثمود) كما كان الحال مع سورة مكية أخرى هي سورة (قريش) حيث سُمِّيت باسم القوم الذين كذبوا النبي ﷺ وحاربوا دعوته، غير أن السورة على خلاف المتوقع سُمِّيت باسم (الحجر) وهو وصف ثبت لهذا القوم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ [الحجر: 80] فهم الذين كانوا ينحتون الجبال بيوتا يسكنون فيها وكأنهم مخلدون في هذه الحياة لا ينالهم تعب ولا نصب ولا يفرقهم موت ولا فناء آمنون مطمئنون في منازل حصينة حفرت في جوف الصخر المتين، فلماذا هذا الوصف (الحجر) تحديداً؟ وما علاقة السورة بتلك التسمية؟ ولماذا أصحاب صالح دون غيرهم مع أن السورة قد تحدثت عن إبليس وإبراهيم ولوط عليهما السلام؟

ولعل الوقوف على دلالة هذا اللفظ المعجمية يبين جانباً من جوانب اختيار هذا اللفظ تحديداً:

فالحجر لغة: يفيد الحفظ والإحاطة بالشيء، وقد فصل ذلك ابن منظور بكثير من الأمثلة والشواهد وكان مما ذكره: ((فلان في حجر فلان أي في منعه ورعايته))<sup>7</sup>.

وقديماً كان الناس يميزون ممتلكاتهم فيحفظون ما بداخلها ويمنعون غيرهم من الوصول إليها بعدد من الحجارة ونحوها، وفي هذا المعنى يقولون: حجر القاضي على أموال السفهاء أي منعه من الوصول إليها حفظاً لها بواسطة أمر معين.<sup>8</sup>

ومن خلال استعراض موضوعات السورة واستنطاق آياتها نجد معنى الحفظ والرعاية مصاحباً لكل موضوع من موضوعاتها التفصيلية، ففي كل مقطع منها الإشارة إلى سبيل من

سبل الحفظ والنجاة، وأما ما ذكره بعض أهل العلم<sup>9</sup> من محاور رئيسة للسورة فهي في حقيقتها مما يصح اعتباره موضوعات فرعية لهذا المعنى العام، فالحديث عن مصير المكذابين وبيان عاقبتهم ووعد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه وغير ذلك كل ذلك مندرج تحت المحور العام وهو الحفظ، وسأبين من خلال استنطاق موضوعات السورة دور الحفظ في كل تلك الموضوعات المختلفة مؤكداً أنه هو المحور الموضوعي الرئيس الذي تتفرع منه بقية الموضوعات الجزئية.

وبالوقوف على موضوعات السورة الكلية وتأمل تتابع سياقاتها المختلفة نجد إعادة تشكيل مفهوم الحفظ وبيان تعدد مظاهره وأسبابه، وهو -أي إعادة تشكيل المفاهيم- منهج تعليمي استخدمه النبي ﷺ في تعليمه لصحابته في أكثر من موضع لما أراد أن يلفت انتباههم لقضية معينة ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: ((أَتَذُرُونَ مَا الْمُفْلِسُ))<sup>10</sup> الحديث، فرغم أن الصحابة عرب أقحاح غير النبي ﷺ أراد أن ينبههم إلى معنى آخر شرعي غير المتبادر إلى أذهانهم وهو أمر تكرر في عدد من الملفات الأخلاقية، منها أيضاً بيانه ﷺ للشديد وكيف أنه ليس الشديد بالصرعة<sup>11</sup> كما يتصور الناس وهو بذلك ﷺ يريد منهم توسيع مداركهم لتكون أكثر شمولية من دلالة لفظها الظاهر لتكون شاملة معانٍ أعمق وأدل على المراد الشرعي وهو عين ما حصل في سورة الحجر مع مفهوم الحفظ والمنعة، فالحجر عند العرب واضحة دلالاته ولأجل ذلك سمي به قوم صالح لما تمتعوا به من قوة من مساكنهم تضمن لهم صد أي عدوان خارجي، لكن القرآن الكريم جاء مبيناً ضмор ذلك المفهوم أمام كلية الحفظ الرباني وشمولية أفراده في الدنيا والآخرة، فالحفظ في السورة لا يتناول المنعة ضد عدو ونحوه فحسب بل يطلق ويشمل الحافظ والمحفوظ وأسباب الحفظ وصوره وحقيقته.

وقد أحسن البقاعي رحمه الله يوم بين العلاقة بين لفظ الحجر ومقصد السورة فقال: ((على أن لفظ الحجر يدل على ما دل عليه مقصود السورة من الجمع والاستدارة التي روحها الإحاطة المميزة للمحاط به من غيره، بلا لبس أصلاً))<sup>12</sup>.

## المبحث الثاني: موضوعات السورة وعلاقتها بالمحور الرئيس

### المطلب الأول: أسباب الحفظ

إن محور السورة يرسم بوضوح قوارب النجاة وسبل الخلاص والمنعة<sup>13</sup>، وتظهر إشارة ذلك في افتتاحية السورة من خلال عرض مشهد غير متوقع، يقول تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2] فقد ابتدأت السورة بلقطة ختامية متجاوزة الخط الزمني للحياة مصورة آخر فصول الحكاية، وكأن الآية الكريمة تثير في النفس تساؤلا مفاده: كيف يحدث مثل هذا؟ لماذا يتمنى الكافر أن يكون مسلما؟ أي مصيبة وقع بها هؤلاء الكفار - الذين كانوا في يوم من الأيام يحاربون الله ورسوله - حتى تمنوا الخلاص ولو كان ثمن هو الرجوع للدنيا وقبل دعوة الإسلام من جديد؟ ماهي أسباب النجاة التي لو امتلكها العبد لن يصل لتلك الخاتمة المخيفة؟ وكأن السورة من خلال افتتاحها بهذه الطريقة تمهد الطريق للإجابة عن جميع تلك التساؤلات، وهو ما يعرف عند البلاغيين ببراعة الاستهلال.

### أولا: قارب النجاة المركزي

تشرع السورة بمقدمة غير تقليدية وذلك عن طريق لفت الانتباه إلى يوم يبحث فيه الكافر عن طوق نجاة فلا يجد، والآيات تستعرض صورا من التهديد ملفعا بظل من التهويل وتصف كيف أنهم متحسرون إذ لو أسلموا لحصلوا على ضمان بالحفظ والرعاية: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (2) ذَرَّهُمْ يَٰكُفُّوْا وَيَتَمَنَّوْا وَيُلْهِمُ ٱلْمَلَّ ٱلسَّوْفَ يَٰعَمَّوْنَ (3) وَمَا أَهْلَكَ نَارِىَ إِلَّا وَهْآ كِتَآبٌ مَّعْلُومٌ (4) مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَرْخِيوْنَ (5) [الحجر: 2 - 5]

وقد تنبه الطاهر بن عاشور لوقع هذه المقدمة على الكافرين فقال: ((ووقعت هذه الآية في مفتح تهديد المكذبين بالقرآن لقصد الإعذار إليهم باستدعائهم للنظر في دلائل صدق الرسول ﷺ وصدق دينه))<sup>14</sup>.

ثم انتقلت الآيات إلى ذكر مثال توضيحي: فقد كان رد قريش مشابها لرد أصحاب الحجر الذين ظنوا أن بيوتهم كفيلة بتوفير الأمن لهم: ﴿وَقَالُوا يَأَيُّهَا الذِّمِّي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۖ (6) لَوْ مَا تَأَيُّدُنَا بِأَمَلَتِكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ (7) مَا نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ۖ (8) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۖ (9)﴾ [الحجر: 6 - 9] فالمشهد نفسه يتكرر اليوم بتكرر العناد فأهل قريش يطلبون تنزل الملائكة لتعذيبهم وكأنهم يملكون من القوة والمنعة ما يحفظهم ويضمن لهم النجاة، لكنه سبحانه أجابهم بما لا يطيقون وأشار لهم أن الحفظ من بأس الله لا يكون إلا بالتزام ما جاء به نبي الله في رسالته<sup>15</sup> فمن لزم الرسالة المحفوظة شمله الحفظ الإلهي، فكما أنه سبحانه وحده القادر على حفظ كتابه فهو وحده الذي يقرر موعد استحقاقهم العذاب، فالآيات تبين لأهل الكفر والشقاق أول وأهم قوارب النجاة ألا وهو كتاب الله المحفوظ بين أيديكم والذي فيه أسباب الحفظ ودواعي الرعاية.

وقد أجاد عبد الحميد طهماز في وصف قارب النجاة المركزي مبينا أهميته فقال: ((ففي الآية تأكيد يفيد الجزم والقطع على أنه سبحانه هو الذي نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ، وأنه سبحانه هو الذي يتولى حفظ القرآن الكريم بما قدّر له من أسبابا الحفظ وأول أسباب حفظه اختيار النبي الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم ليكون الأمين الأول للقرآن الكريم والحافظ له، فكيف تجرؤا على مقامه الشريف ووصفوه بما لا يليق وقد اختاره الله سبحانه لأمانة حمل القرآن وحفظه وتبليغه، فالقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى رغم أنف المعاندين والجاحدين مهما تعاقبت عليه الأزمان والحدثان))<sup>16</sup>

لكنهم أدبروا وأعرضوا! فأدبر أنت عن إعراضهم، وتأمل في الكون ففيه قارب نجاة

آخر.

## ثانيا: التأمل في صنع الحافظ

بعد أن ذكرت الآيات صورا من استغراق الهالكين في متاع الدنيا وزينتها مبينة كيف أنهم أفنوا أعمارهم ولم يستعدوا للنجاة بأنفسهم من المستقبل الحتمي الأبدي: ﴿ذَرَهُمْ يَافِكُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾ [الحجر: 3] أكدت ذلك ببيان تاريخهم مع رسلهم ومظاهر رفضهم لكل أساليب النجاة بكل عناد وجحود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ<sup>(10)</sup> وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ<sup>(11)</sup> كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ<sup>(12)</sup> لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ<sup>(13)</sup> وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ<sup>(14)</sup> وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ<sup>(15)</sup> لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ<sup>(16)</sup>﴾ [الحجر: 10-15] بعد وصف كل ذلك وتثبيته في ذهن القارئ بصورة بيانية بليغة نجد أن زاوية الرؤية قد تغيرت تماما وأصبحت أوسع مما كانت عليه، بل واسعة جدا لدرجة أنها شملت الكون الفسيح بأفلاكه السماوية وأرضه وظواهره الطبيعية<sup>17</sup> فبعد أن كان الحديث مقتصرًا على قوم معينين في زمن معين على أرض محددة صار الحديث عن الكون الفسيح وملفاته العميقة، والهدف من هذه الرحلة الكونية هو التأكيد على أن الحافظ لكل هذا الأفلاك والنجوم والأرض وما عليها هو وحده القادر على أن يحفظ عباده وينجيهم فمن نظر في هذا الخلق الكبير بتفاصيله الدقيقة علم أن نجاته وحفظه كله بيد خالق الكون لا كما زعم أصحاب الحجر وظنوا أن مساكنهم التي حفروها في أعماق الجبال ستحميهم من غضب الله وانتقامه، فالحجر الحقيقي ليس بيوت محفورة في صخر بل بإيمان راسخ نتيجة النظر في هذا الكون وأطرافه الممتدة، يقول زغلول النجار في سياق حديثه عن إعجاز هذه الآيات: ((بمعنى أنه حتى لو فتح الله تعالى على هؤلاء المكابرين بابا من السماء وأعانهم على الاستمرار بالعروج فيه بأجسادهم وكامل حواسهم، حتى يطلعوا على بديع صنع الله في ملكوته، وعلى عظيم قدرته في إبداع خلقه وتوفير الأمن والحفظ لهم، لشكوا في تلك الرؤية المباشرة، ولكذبوا بأبصارهم وعقولهم وباقي حواسهم ولا تمسوا أنفسهم بالوقوع تحت تأثير السحر في محاولة منهم لإنكار الحقائق التي وقفوا عليها))<sup>18</sup>

إنه ثاني قوارب النجاة [التأمل في صنع الحافظ] ...

ولقد جاءت الآيات مبينة طبيعة هذا السبب عن طريق تصوير عدد من أهم المظاهر الكونية المركزية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ (16) ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (17) ﴿إِلَّا مِنْ إِسْتَرْقَ السَّمْعُ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (18) ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (19) ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشٌ وَمَنْ لَشَيْءٍ لَهُ يَرْزُقِينَ﴾ (20) ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَائِرِينَ﴾ (22) ﴿وَلَا نَحْنُ مُخِيءٌ وَنُفِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (23) [الحجر: 16 - 23]

ففي سياق الآيات يظهر تنوع الصور التي تناولتها محددة مواطن الحفظ والرعاية الربانية في كل شيء قد يلحظه الإنسان في رحلة تأمله الكونية، فمن حوله السماء وبروجها، والأرض ونباتها، والرياح وأمطارها، إنها جميعا -لمن أعمل فكره فيها- تثبت أن لها حافظا هو من أنشأها ثم سخرها لعباده لتكون عوناً لهم في أمور دينهم ودنياهم، فالآيات من خلال عرضها الشامل لعدد من ملفات الكون تبين قصور وضмор النظرة التي كان من خلالها ينظر قوم صالح ويتأملون...!

فقد تنزلت الآيات وكأنها ترسم لقارئها لوحة تنطق في كل جانب من جوانبها بآثار اليد القادرة على هذه الدقة والتنظيم والتقدير وكمال التصوير مبينة أنها وحدها لها القدرة على الحفظ والرعاية، يقول صاحب الظلال واصفا تلك اللوحة ومبيناً أن القادر على كل ذلك هو وحده من بيده الحفظ والمنعة: ((هي لفظة هنا إلى جمال الكون، فليست الضخامة وحدها، وليست الدقة وحدها إنما الجمال الذي ينتظم المظاهر جميعا، وينشأ من تناسقها جميعا، وإن نظرة مبصرة إلى السماء في الليلة الحالكة، وقد انتشرت فيها الكواكب والنجوم، توصف بنورها ثم يبدو كأنما تحبو، ريشما تنتقل العين لتبلي دعوة من نجم بعيد، ونظرة مثلها في الليلة القمرية والبدر حالم، والكون من حوله مهوم، كأنما يمسك أنفاسه لا يوقظ الحالم السعيد، إن نظرة واحدة شاعرة لكفيلة بإدراك حقيقة الجمال الكوني، وعمق هذا الجمال في تكوينه، ولإدراك معنى هذه اللفتة العجيبة: {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِرِينَ}، ومع الزينة الحفظ والطهارة: وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ لا ينالها ولا يدنسها ولا ينفث فيها من شره ورجسه

وغوايته. فالشيطان موكل بهذه الأرض وحدها، وبالغاوين من أبناء آدم فيها. أما السماء- وهي رمز للسمو والارتفاع- فهو مطرود عنها مطارد لا ينالها ولا يندسها. إلا محاولة منه ترد كلما حاولها: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّعْيَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (18) 19.

### ثالثا: الاعتبار بأخبار الماضي والمستقبل:

تكمل الآيات حديثها عن أسباب الحفظ وأطواق النجاة فبعد أن بينت أن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ لكتابه وللسموات والأرض والأرزاق، جاءت الآن تعيد شريط الذاكرة البشرية وتنبه إلى أصل الخلق وقصة البشرية الكبرى ممثلة في خلق آدم وعدوه إبليس، وكيف أن البارئ تكفل بالحفظ والمنعة وهذه المرة تكفل بالحفظ لعباده في الدنيا: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42] وكذلك في الآخرة فهم محروسون آمنون {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ} [الحجر: 46] بل ولا يقدر أحدهم على إيصال الضرر لهم ولا على إخراجهم من النعيم الذي هم فيه: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48]

فكما أن الله سبحانه وتعالى حفظ الجنس البشري من عدوهم الأول فإنه وحده القادر على ضمان حق الأمان والنجاة لهم وهو سبحانه القادر على أن يكفل لعباده الحفظ في الدنيا والآخرة<sup>20</sup>، فالمخدوع من نسي ربه وتناسى مبدأه ومعاده، وبذلك يتضح سبب الحفظ الثالث في سورة الحجر وهو: الاعتبار والاتعاظ بالأخبار ففيها خبر من حفظ ورعي: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَوَيْتُكَ لَأَرْسِلَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (40) [الحجر: 39، 40] فلا سبيل للشيطان من التسلط على أحد ممن اصطفاهم الله لعبادته...

ثم تنتقل الآيات متممة أهمية الاتعاظ بأخبار من مضى، فيأتي الحديث عن خبر نبي الله إبراهيم ولوط عليهما السلام وفي قصتهما نلمح مظاهر الحفظ والرعاية<sup>21</sup>، فهذه هي الملائكة التي طلب أهل الكفر أن تأتيهم بعذاب نجد أنها قد تكفلت بالحفظ لأنبياء الله وأوليائه:



- 1- ﴿فَقَالُوا سَلَمًا﴾ [الحجر: 52] فلن يمسك سوء إنا مكلفون بحفظك.
- 2- ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: 53] فلا تستشعر الخوف إنا مؤيدوك.
- 3- ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [الحجر: 53] فقد أتيناك بما يسرك ولا يسيئك.
- 4- ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: 63] إشارة إلى حفظه من المخاوف.

ففي الآيات بيان لمصير أقوام من جحد دعوة رسله وكيف أن مآل من عصى الله الذل والخذلان ولو امتلك أقوى أسباب الحفظ الظاهري:

- 1- فهذا هي آثار قرية لوط حفظت في طريق ساكن لتكون عبرة لمن تخلى عن حفظ الله ورعايته وظلم أنه في مأمن من نوائب الدهر وصروف الزمان ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (73) فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿74﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿75﴾ وَإِنَّمَا لِّسِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿76﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿77﴾ [الحجر: 73 - 77]

- 2- كما أن آثار أصحاب الأيكة لم تغن عنهم عيشتهم الرغيدة من بأس الله يوم كذبوا نبيه ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ (78) فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَئَامٍ مِّنْ يَّوْمٍ ﴿79﴾ [الحجر: 78، 79]

- 3- وكذلك أصحاب الحجر من ظنوا أنهم في منعة في بيوت صنعت من الصخر الأصم لكنهم يوم جحدوا رسالة الحافظ سبحانه لم تغن عنهم مساكنهم شيئاً وبقيت محفوظة ليتذكر الناس مآلهم وليعلموا أن العبد بحاجة لمولاه مهما ارتفع وبلغ: ﴿وَكَانُوا يَحِثُّونَ مِنَ الْجِبَالِ مِيَّاتًا-إِمْبِيئًا﴾ (82) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿83﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿84﴾ [الحجر: 82 - 84]

وبذلك يظهر بجلاء أهمية السبب الثالث من منظومة الحفظ التي جاءت بها سورة الحجر: فالقوم الذين آمنوا بالحافظ سبحانه واتبعوا نصح أنبيائه نالوا الحفظ والرعاية بل وبشروا بما يستعظم في عالم المادة، وقوم أهلكوا وعذبوا رغم توفر أسباب الحفظ والمنعة..!

وفي عرض تلك كل تلك الأخبار والقصص تذكير للإنسان بضرورة النظر في واقع الأمم الغابرة وذلك لضمان أسباب الحفظ الإلهي وطرق النجاة في الدنيا والفوز في الآخرة، وقد أطنب محمد سيد طنطاوي في حديثه عن هدايات قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّتَوَكَّلِينَ﴾ [الحجر: 75] فكان مما قال: والمتوسمون: جمع المتوسم، وهو المتأمل في الأسباب وعواقبها، وفي المقدمات ونتائجه، وقوله- سبحانه-: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ تذييل قصد به التعميم بعد التخصيص، لأن اسم الإشارة هنا يعود إلى جميع ما تقدم من قصتي إبراهيم ولوط- عليهما السلام- وإلى ما انضم إليهما من التذكير بآثار الأقوام المهلكين، أي: إنَّ فيما ذكرناه فيما سبق من أدلة واضحة على حسن عاقبة المتقين، وسوء نهاية الظالمين، لعلَّه واضحة، وحكمة بالغة لمن أراد نيل أسباب النجاة وسبل الحفظ والرعاية.<sup>22</sup>

### المطلب الثاني: مناسبة مفهوم الحفظ لآخر الحجر وبداية النحل

لقد جاءت آخر آيات السورة متناسبة مع بدايتها ومؤكدة لمركزية محورها وموضحة مصير من عاند وتجبر وآل إلى نفسه التي لا تمتع عنه شرا ولا تجلب له حفظا ولا نفعا إلا بإذن الحافظ وحده سبحانه، وقد بين ذلك الغزالي رحمه تعالى أتم بيان فقال: ((وقد لاحظنا أن آخر هذه السورة يؤكد أولها ويتجاوب معه، فعندما يتحدى عبید الحياة أنبياءهم ويعترضون طريقهم ويظنون الدولة خالدة لهم يجيء في أول السورة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْنَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ (4) مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ (5)﴾ [الحجر: 4، 5] وهذا قول موجز تفسره أواخر السورة عندما تقص كيف هلك قوم لوط وقوم شعيب وقوم صالح - وهم من هم ممن أوتي حظا من أسباب المنعة الظاهرية- إن الإناء يستقبل الأخطاء حتى إذا طفح بدأ العقاب وربما فعل الجرمون الفعل الذي يجيء بعدها الهلاك كما وضحت ذلك آيات السورة في ثناياها)).<sup>23</sup>

وقد جاءت خاتمة الحجر وبداية النحل مبينة مفهوم الحفظ العام الذي ابتدأت الحجر وذلك عن طريق أمور منها:

## 1- الأمر الأول: تلخيص عام لمظاهر الحفظ التي ورد ذكرها في الحجر:

فبعد أن عدت السورة صور حفظ الله في الكون وأهم أسباب النجاة التي ينبغي على طالب الحفظ أن يقصدها جاءت نهاية السورة مؤكدة لقضايا السورة وذلك على النحو الآتي:

أ- التذكير بمظاهر حفظ الله سبحانه وتعالى في الكون من سماوات وأرض وقرآن عظيم ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّابِرِينَ الْجَمِيلُ ٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلِيقُ الْعَلِيمُ ٨٦ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ٨٧ ﴿ [الحجر: 85 - 87]

ب- بيان أن الالتزام بمنهج الله كفيل بحفظ المؤمنين وأن من جحدته وحاده عنه فلا حفظ له: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْنَذِيرُ الْمُنِيرُ ٨٩ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ٩٠ ﴿ [الحجر: 88 - 90]

ت- التأكيد على حفظ صاحب الرسالة المكلف بهذا البيان: ﴿فَاصْصَبْ بِمَا تُوَمِّرُ وَعَرِضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ٩٥ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٩٦ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ٩٨ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ٩٩ ﴿ [الحجر: 95 - 99] فكما حفظ كتابه الذي أنزل عليه ﷺ في بداية السورة فقد حفظ شخصه ﷺ وحفظت سنته في نهايتها<sup>24</sup>.

## 2- الأمر الثاني: التأكيد على مصير من أنكر واستهزأ بمفهوم الحفظ الإلهي وذلك من

خلال بداية سورة النحل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْعَاجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١﴾ [النحل: 1]، قال البقاعي مبينا ذلك: فقد أعقب سبحانه سورة الحجر ببيان تعجيل الأمر: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ١﴾ فقال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْعَاجِلُوهُ ١﴾ [النحل: 1]، وزاد هذا بيانا قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ١﴾ [النحل: 1]، فنزه سبحانه نفسه عما فاهوا به في استهزائهم وشركهم وعظيم بهتهم<sup>25</sup>.

3- الأمر الثالث: اشتغال بداية النحل على تأكيد صور ومظاهر الحفظ التي وردت في سور الحجر ومن ذلك:

- حفظ شرع الله وكتابه: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: 2]
- حفظ السماوات والأرض: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [النحل: 3]
- حفظ الإنسان: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: 4]
- حفظ الأنعام والأرزاق: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَكُلُونَ﴾ [النحل: 5]

فمن تأمل هذه الآيات أدرك مناسبتها الواضحة لسورة الحجر وبذلك تتناغم موضوعات السور القرآنية ويكمل بعضها بعضاً، ويتضح مفهوم الحفظ جلياً من خلال سورة الحجر ومناسبة السور التي سبقتها أو كانت تالية لها.

#### الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فهذه جولة متواضعة أمضيته في ربوع موضوعات سورة الحجر، أجلتُ فيها البصر وأمعت النظر، فرأيت أن أسجل النتائج التالية:

أ- استعرضت السورة صوراً متعددة من مظاهر الحفظ الإلهي التي تؤكد قدرة الحافظ سبحانه.

ب- بالوقوف على موضوعات السورة الكلية وتأمل تتابع سياقاتها المختلفة نجد إعادة تشكيل مفهوم الحفظ وبيان تعدد مظاهره وأسبابه.

ج- أوجه الإعجاز في القرآن الكريم متعددة وغير منتهية، وحصرها في بعض الجوانب العلمية دون غيرها إخراج لحقيقة كون هذا القرآن صالحاً لكل زمان ومكان، ومن صور الإعجاز المعاصر إثبات أن موضوعات السور القرآنية على اختلافها كانت ضمن محور رئيسي عام.

د- ترسم آيات الحجر لتأملها لوحة تنطق في كل جانب من جوانبها بآثار اليد القادرة على هذه الدقة والتنظيم والتقدير وكمال التصوير مبينة أنها وحدها لها القدرة على الحفظ والرعاية.

ر- يمكن للباحث الخلوص للعديد من القيم المعرفية التي حوتها سور القرآن بالرجوع للمنهج الاستقرائي ثم الوصفي.

س- إنّ صياغة حقيقة قرآنية متمثلة في إيجاد العلاقة بين موضوعات السورة ومحورها وتوجيه اسمها تبعاً لذلك هو موضوع تأمل وتدبر، يمكن من خلاله الوقوف على عدّة أوجه إعجاز أخرى متباينة.

ط- جاءت موضوعات سورة الحجر ناطقة عن محورها الرئيس، وليست نتيجة عشوائية غير منتظمة.

### التوصية:

على المشتغلين بعلوم القرآن:

1- إعادة البحث في موضوعات القرآن وسوره من جهة أكثر شمولية للاطلاع على ما يميز كل سورة عن غيرها وإن تكررت بعض الموضوعات من ناحية ظاهرية.

2- البحث عن علاقة أسماء السور بمحورها وهذا البحث لا يقصد به مجرد ربط البقرة بقصة بني إسرائيل على سبيل المثال وإنما التعمق لمعرفة علاقة البقرة بباقي قصص السورة.

3- محاولة البحث عن إجابة سؤال مفاده: هل كانت الموضوعات بالفعل ناطقة عن السور ومقاصدها، وماهي أبرز أوجه الإعجاز المترتبة على كل ذلك.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفّقت لإصابة الحق، فهو غرضي ومقصدي من غير نقص أو إخلال، مع القطع أن الكمال لله سبحانه وحده الذي عليه اعتمادي، وهو حسبي الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. الألوسي محمود شهاب الدين (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م.
2. أحمد الطويل، محتويات سور القرآن الكريم، مدار الوطن للنشر، ط 2013م.
3. أحمد خيرى العمري، القرآن نسخة شخصية، عصير الكتب للنشر والتوزيع، 2020م.
4. البقاعي (885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، دار الكتب العلمية، 2011م.
5. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ت: عبد العزيز التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، 1420هـ.
6. دروزة محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، 1382هـ.
7. د. زغلول النجار، السماء في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، 2005م.
8. السيوطي (911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للنشر، 1974م.
9. سعيد حوى (1409هـ-1989م)، الأساس في التفسير، دار السلام، ط 6، 1424هـ.
10. سيد قطب (1966م)، ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط 23، 2003م.
11. الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون، 1977م.
12. د. عبدالله محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، المكتبة المصرية العامة للكتاب، 1976م.
13. المهامبي علي بن أحمد (835)، تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، بيروت: عالم الكتب، 1983م.
14. عبد الحميد طهماز، التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، دمشق-سوريا: دار القلم، د.ت.
15. د. مصطفى مسلم وزملاؤه، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة-كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، 2010م.
16. محمد سيط طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن، دار نهضة مصر، 1998م.
17. د. عمر علي حسان عرفات، دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2018م.
18. مسلم بن الحجاج (261هـ)، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
19. ابن فارس (195هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.
20. الفخر الرازي (606هـ)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار الفكر، ط 31985م.
21. محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، القاهرة: دار الشروق، ط 13، 2013م.
22. ابن منظور (711هـ)، لسان العرب، ت: علي عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، 1401هـ-1981م.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، (182/6)، كتاب فضائل القرآن، باب أول ما نزل من الوحي، حديث رقم (4696).

ومسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان - بيروت، دار إحياء التراث العربي، (134/1)، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث رقم (152).

<sup>2</sup> يراجع السيوطي في مسألة ترتيب سور القرآن، الإتيان في علوم القرآن، (97/1) وما بعدها، النوع السابع: معرفة أول ما نزل، وقد ذكر محمد دروزة في كتابه التفسير الحديث: أن هناك سبع ترتيبات للسور حسب نزولها وبين هذه الترتيبات بعض التخالف غير أن مجملها على نسق موحد، ثم ذكر الترتيب الذي وصل إليه: الإسراء، يونس، هود، يوسف، الرعد، (12/1) دار إحياء الكتب العربية، 1382هـ.

<sup>3</sup> ينظر أحمد الطويل، محتويات سور القرآن الكريم، ص: 129 وما بعدها، مدار الوطن للنشر، 2013م.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص: 129.

<sup>5</sup> سبق بيانه.

<sup>6</sup> البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، (2/11).

<sup>7</sup> ابن منظور لسان العرب، باب الرء فصل الحاء، (167/4).

<sup>8</sup> ابن فارس، ينظر معجم مقاييس اللغة، حرف الرء، فصل الحاء المهملة، (167/4).

<sup>9</sup> ينظر البقاعي، نظم الدرر، (200/4)، وكذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير، (7/14)، إيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني، ص: 61، وقد فصل في ذلك القول عمر عرفات، دلالة أسماء السور، ص: 175 وما بعدها.

<sup>10</sup> أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (2581).

<sup>11</sup> أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (2589).

<sup>12</sup> البقاعي، مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، (2/203).

<sup>13</sup> ينظر عمر عرفات، دلالة أسماء السور، ص: 175.

<sup>14</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، (8/14).

<sup>15</sup> ينظر المهايي، تبصير الرحمن، (394/1).

<sup>16</sup> ينظر عبد الحميد طهماز، التفسير الموضوعي لسور القرآن، (350/4) بشيء من الاختصار.

<sup>17</sup> ينظر أحمد خيرى العمري، القرآن نسخة شخصية، ص: 97.

<sup>18</sup> زغلول النجار، السماء في القرآن الكريم، ص: 405 وما بعدها بشيء من التصرف.

<sup>19</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، (6/14) وما بعدها، وقد وجدت نص تلك العبارة بتمامها عند عدد ممن كتب في التفسير الموضوعي كسعيد حوي، الأساس في التفسير، (2868/6) وقد صرح بنقله عنه، وكذلك نقله عبد الله محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها، ص: 171 ولم يعزها إليه وكذلك فعل جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، (267/4).

<sup>20</sup> أحمد الطويل، محتويات سور القرآن، ص: 132 وما بعدها.

<sup>21</sup> ينظر البقاعي، نظم الدرر، (200/4)،

<sup>22</sup> ينظر محمد سيط طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن، (70/8) كما تجدر الإشارة إلى أن لجوهر طنطاوي كلام موسع في ذلك أشار فيه لمصير الأمم المعاصرة وسنة الله فيهم وكيف أن على أهل الإسلام ممن يطلب النجاة الاعتنا بهم وأخذ الدروس والعبر من قصصهم، جواهر القرآن (327/7).

<sup>23</sup> محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص: 201.

<sup>24</sup> ينظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، (2868/6).

<sup>25</sup> ينظر الغرناطي أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (المتوفى: 708هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق محمد شعباني، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1990م، ص: 242 بتصرف يسير.